رأي القدس

عباس بعد ان طفح كيله

■ يعكف السيد محمود عباس رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية حاليا على بحث خياراته المستقبلية، بعد ان اعلن انهيار محادثات تشكيل حكومة وحدة وطنية مع حركة المقاومة الاسلامية «حماس» وابلغ اللجنة التنفيذية في منظمة التحرير انه لن يعود الى هذه المحادثات الا اذا وافقت الحركة على شروطه.

اللجنة التنفيذية انحازت الى السيد عباس وساندت موقفه، واصدرت بيانا حمّلت فيه حركة «حماس» مسؤولية فشل الحوار، واشترطت التزامها «الشرعية الفلسطينية» ومبادرة السلام العربية، والشرعية الدولية.

لجوء السيد عباس الى اللجنة التنفيذية التي يتزعم رئاستها يوحي بان الرجل مأزوم، ويحتاج الى كل من يمكن ان يقدم الدعم له، اذا كان بصدد اتخاذ قرارات خطيرة قد تؤدي الى مواجهات سياسية وربما عسكرية.

ولا نعتقد ان اللجنة التنفيذية فاقدة الشرعية والتمثيل يمكن ان تفيد السيد عباس في اي مواجهة مقبلة مع حركة «حماس» لان معظم الفصائل المنضوية تحت لوائها، وباستثناء حركة «فتح» لا تملك اي وجود فعلي على الارض. وبعضها لم يفز بمقعد واحد في الانتخابات التشريعية الاخيرة، ومن فاز منها فبمقعد او مقعدين على اكثر تقدير.

وعندما نقول ان هذه اللجنة غير شرعية، فذلك يعود الى ان صلاحيتها انتهت قبل عشر سنوات على الاقل، والمجلس الوطني الفلسطيني الذي ينتخبها لم ينعقد بشكل شرعي منذ خمسة عشر عاما. والمرة الاخيرة التي انعقد فيها في مدينة غزة كانت ارتجالية ولاستقبال الرئيس الامريكي بيل كلينتون، والتأكيد على تغيير الميثاق.

السيد عباس في موقف صعب للغاية، ويتعرض لضغوط كثيرة متشعبة الجهات لاتخاذ قرار بحل حكومة حركة حماس المنتخبة، واستبدالها بحكومة طوارىء لمدة عام، ريثما يتم عقد انتخابات تشريعية جديدة.

فالولايات المتحدة ودول عربية تضغط في هذا الاتجاه، والشعب الفلسطيني وصل الى حال اليأس من السلطة برأسيها والخلاف بينهما، وهو الخلاف الذي يعمق حال الحصار المالي والاقتصادي الحالية، ويوتر الاوضاع، ويدفع باتجاه فوضى عارمة.

ولا بد من الاقرار بان حركة «حماس» ليست مسؤولة عن الحصار الحالي، كما انها ليست مسؤولة وحدها عن فشل مفاوضات تشكيل حكومة وحدة وطنية، فقد وصلت الى الحكم عبر انتخابات حرة نزيهة، وبتفويض شعبي واسع، واذا كانت قد عجزت عن ممارسة الحكم، فذلك يعود بشكل اساسي الى قرار امريكي ـ اسرائيلي ـ عربي بافشال حكومتها من خلال وقف وصول اي مساعدات مالية اليها على امل ان ينقلب الشارع الفلسطيني ضدها، وهو ما لم يحدث.

ويتحمل السيد عباس وبعض المستوزرين من حوله جزءا من مسؤولية وصول الحوار مع «حماس» الى طريق مسدود. فالسيد عباس يريد ان تكون مشاركة حماس في الحكومة، وهي التي تملك اغلبية مقاعد المجلس التشريعي، «صورية». اي ان يكون وزير داخليتها منزوع الصلاحيات، ووزير ماليتها شاهد زور، ووزير خارجيتها لا يستطيع نقل سفير او تعيين قنصل.

ندرك جيدا ان السيد عباس «ناور» كثيرا لتجنب اتخاذ قرار القطيعة وبالتالي المواجهة مع «حماس» لانه يعلم جيدا النتائج التي يمكن ان تترتب على هذا القرار على صعيد الجبهة الداخلية الفلسطينية، والمأمول ان يستمر في المناورة وان يتجنب الاستماع الى المحرضين من حوله، واعطاء الحوار فرصة اخرى.

حكومة المعارضة اللبنانية

حكم البابا

■ حتى اليوم ورغم مرور أكثر من سنة على حصول قوى المعارضة اللبنانية السابقة ـ المؤلفة من تيار المستقبل والحزب التقدمي الاشتراكي والقوات اللبنانية وحزب الكتائب وعدد من التنظيمات الصغيرة الأخرى والشخصيات السياسية المستقلة– على أكثرية مقاعد مجلس النواب، وتحولها إلى سلطة بعد تشكيلها لحكومة فؤاد السنيورة، أول ما يتبادر إلى ذهني عندما أسمع اليوم مصطلح المعارضة اللبنانية هي هذه القوى والأحزاب التي تحكم لبنان الآن.

ورغم مرور هذه المدة الطويلة على انتقال هذه الأحزاب والتيارات من التظاهر في الشوارع والاجتماع في الفنادق، إلى مقاعد الأغلبية في مجلسي النواب والوزراء، لا تزال تشعر وتحس وتتصرف باعتبارها حركة معارضة تتوسل لتحقيق مطالب، أكثر من كونها سلطة صاحبة قرار ومالكة نفوذ تدير بلداً، وبنظرة سريعة إلى سلوك هذه القوى الحاكمة اليوم للبنان سنكتشف بأنها لا تزال تستخدم نفس المفردات والأدوات التي كانت تستخدمها عندما كانت في المعارضة، فاجتماعات قياداتها لاتزال مستمرة في الفنادق والبيوت بصورة أقرب إلى لقاءات سرية لقوى معارضة منها إلى اجتماعات علنية لقوى ممسكة بالسلطة، وأعضاؤها وقادتها لايزالون يتنقلون بحذر وسرية خوفاً من تفجير أو اغتيال، ويظهرون على شاشات التلفزيونات بوجوه مأزومة وتصريحات تبريرية كما لو أنهم يرتكبون الذنوب لا يتخذون القرارات، ولا يزالون بحاجة إلى الاستعانة بجماهيرهم ومناصيرهم وانزالهم للشوارع عند كل حادث تتعرض له الحكومة، أو موقف تواجهه، أو قرار تهم باتخاذه، هذا فضلاً عن خطابهم الذي غالباً م يأخذ صيغ الاستجداء والمناشدة والترجي، ودبلوماسية اليد الممدودة الأقرب إلى لغة التسول منها إلى لغة الحوار والمصالحة.

وباستثناء قرارات الحكومة اللبنانية في موضوع التحقيق الدولي وانشاء محكمته الخاصة باغتيال الرئيس الحريري، كان شغلها الشاغل منذ توليها السلطة وحتى اليوم تبرير سلوك شركائها السابقين ومعارضيها الحاليين، والتغطية على أخطائهم، وتحمل أعباء قراراتهم، والدفاع عن تحالفاتها الدولية واستقبالاتها البروتوكولية، ومحاولة التأكيد بأنها تمثل أكثرية حقيقية لا وهمية كما يشيع معارضوها، والرد على تهم التخوين والعمالة التي تطالها، والصمت على الاهانات التي توجه لها.

وفي ظل هذه الصورة المأزومة لحكومة الأغلبية النيابية، والتي تبدو فيها المعارضة اللبنانية الحالية ـ المشكّلة من تحالف الأقلية النيابية مع بعض بقايا النواب والوزراء السابقين ـ هي صاحبة القرار الفعلي في لبنان اليوم، التي تقوم بالفعل، وتترك للحكومة والقوى المشكلة لها ردة الفعل، وتتخذ القرارات المصيرية، وعلى السلطة مجاراتها والعثور على المبررات لها والدفاع عن تفردها بالقرار، وتهدد باسقاط الحكومة في الشارع، في حين يخرج رئيس وأعضاء هذه الأخيرة المهددين بالاسقاط مادين أيديهم للحوار والتشاور.. في ظل هذه الصورة المأزومة لحكومة لبنان، ومع وصول تحدي القوى المعارضة لها إلى ذورته بنزولها إلى الشارع بهدف التغيير الوزاري أو تعطيل قراراته في أسوأ الأحوال، تواجه حكومة الأغلبية النيابية استحقاقاً طالما هربت منه وأجلته باعتمادها سياسة تدوير الزوايا كاستراتيجية لكل عملها الماضي، واحتالت عليه بطاولات الحوار والتشاور التي جلست حولهما وهي تعلم مسبقاً أفقهما المسدود، وعليها اليوم أن تتصرف كحكومة دولة وصاحبة رؤية ومشروع تدافع عنهما، وهو مالم تفعله طوال عمرها الوزاري، واكتفت بفعل نقيضه، أو تعود إلى صفوف المعارضة التي لم تغادرها بسلوكها حتى بعد أن جلست على كراسي مجلسي النواب والوزراء، هذه الكراسي التي لم تمنحها شيئاً سوى افقادها لقوتها التي حملتها إليهم!

في الذكرى الخمسين لانتصار بورسعيد:

حرب السويس حلقة من حلقات العدوان المستمر على الأمة العربية

محمد عبدالحكم دياب *

■ أطل علينا شهر كانون الأول/ ديسمبر أمس، ليعيدنا إلى خمسين عاما خلت حينما تحقق الجلاء عن مصر للمرة الثانية في عام واحد، كانت المرة الأولى في 18 حزيران/ يونيو، بعدما اتمت قوات الاحتلال البريطاني، المقدرة بثمانين ألف جندي وضابط، انسحابها من مدن قناة السويس. وكانت المرة الثانية بعدها بستة شهور، في الثالث والعشرين من آخر شهور العام ذاته بخروج الغزاة من بورسعيد. وهذه الحرب وإن كانت قد تمت في ظروف قلق وتململ وطني وقومي في أعقاب حرب 1948، فإنها أكدت قانونا شبه ثابت، وقاعدة شبه راسخة، عملها سيان في المد والجزر.. وأما القانون فهو أن أي أمة ترفع لواء المقاومة فإنها تنتصر، والقاعدة تشير إلى أنه ليست هناك قوة، عسكرية أو سياسية أو اقتصادية أو سكانية، مهما كان تجبرها وتسليحها وحجمها غير قابلة للانكسار والهزيمة، والعكس صحيح. فالقوى الصغرى والمتوسطة والمتخلفة، ليست محصنة ضد النصر، كما يتوهم كثيرون. دروس مكررة أكدتها المقاومة على مر العصور وفي كل الأماكن. فالقوة مهما كان حجمها لها حدود، والضعف مهما كان مستواه لا يمنع من النصر، إذا ما توفرت الإرادة وبرزت عزائم الرجال.

يحلو للبعض أن يضفي على الانتصارات التاريخية صفة الهزائم، ومنها انتصار 1956، وُصف بالهزيمة، منذ اللحظة التي عاد فيها النفوذ الغربي والصهيوني إلى المنطقة، وصاغ العقائد السياسية والعسكرية لحكامها وجيوشها، على النقيض تماما مما كان موجودا في الزمن السابق. وبعض آخر تواضع بعض الشيء، ونسب هذا الانتصار لدور الأمريكي لولاه ما خرج الغزاة!!، في محاولة لسلب الانتصار من أصحابه الشرعيين، وهم المصريون وأشقاؤهم العرب، وأصدقاؤهم وحلفاؤهم في أنحاء العالم، وأعداء العرب والمسلمين واعون لدور الأشقاء والأصدقاء والحلفاء، ولهذا فهم يفرقون بين الأشقاء، ويبعدون الحلفاء، ويدقون الأسافين بين الأصدقاء، إلى أن تمكنوا، في الزمن الحالي، من الاستعانة بحكام العرب والمسلمين، وتجنيدهم ضد شعوبهم وأوطانهم. وحرب 1956 حلقة في سلسلة الحروب المستمرة ضد المنطقة منذ قرون، ولها جذورها السابقة على العصر الحديث، وإن كانت قد اتخذت طابعا مغايرا، منذ الكشوف الجغرافية، فصارت تعبيرا حقيقيا عن الظاهرة الاستعمارية في نموها واتساعها، وشهدت منطقة السويس، التي دارت على رحاها المعركة، تحديدا، منافسة مستمرة وصراعات متصلة، إبتداء من حملة نابليون على الشرق، وقناة السويس، منذ ما قبل حفرها، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، تحولت إلى مركز لهذا الصراع وسببه.. رأت فيها بريطانيا خطرا على مصالحها في الهند، واعتبرتها فرنسا فرصة تعيد بها فتح طريق السويس إلى البحر المتوسط، فيخفف عنها ويجنبها الخضوع للتحكم البريطاني في طريق رأس الرجاء الصالح، هذا الصراع اتخذ شكلا آخر بعد احتلال بريطانيا لمصر سنة 1882، وتمكنها من الحصول على نصيب مصر في القناة، ودخلتا حقبة الوفاق، بداية القرن العشرين. وأصبحا شريكين، إلا أن قرار جمال عبد الناصر بتأميم القناة نقل الشراكة إلى تواطؤ، سعيا وراء استعادة القناة من أيدي أصحابها الأصليين.

بدأ الغزو بست عشرة طائرة صهيونية، في التاسع والعشرين من تشرين الاول/ اكتوبر 1956.. أنزلت الطائرات أربعمئة مظلي، عند ممر متلا، وما هي إلا ساعات حتى ظهر أن الإنزال ما هو إلا طليعة لغزو ثلاثي، تشارك فيه بريطانيا وفرنسا، وكانا، مع الدولة الصهيونية، حسب ما كشفته عنه وثائق هذه الحرب، قد وضعوا اللمسات النهائية لها في ضاحية «سيفر» الباريسية، قبل أربعة أيام من بدايتها.. وجهت بريطانيا وفرنسا إنذارا لكل من مصر والدولة الصهيونية، بسحب قواتهما بعيدا عن ضفتي القناة، وإذا انقضت مهلة الإنذار، دون استجابة، تتدخل القوات الأنكلو فرنسية، بادعاء العمل على ضمان سلامة الملاحة في المجرى الدولي!!. وتكثفت عمليات الإنزال الجوي الأنكلو فرنسي، على بورسعيد، وقوبلت بمقاومة باسلة وشرسة، من اللحظة الأولى. وكان واضحا أن الهدف هو تطويق الجيش المصري وحصره في سيناء وإبادته، وكانت القيادة السياسية والعسكرية قد فطنت لذلك، ولم يأت يوم 31 تشرين الاول/ أكتوبر إلا وكانت أغلب القوات اقد انسحبت إلى غرب القناة. وفي الوقت الذي نجحت فيه عملية تفادي المذبحة المعدة للجيش، كان جمال عبد الناصر ورفاقه يعلمون أن قوة الجيش، في ذلك الوقت، قد لا تمكنه من مجابهة الغزو، فتم توحيد جبهة غرب القناة، بسرعة بالغة، قبل بداية العمليات العسكرية، وتحسبا للإنزال المتوقع، إما في اتجاه الإسكندرية أو بورسعيد، وأعدت القوات المتمركزة في الدلتا لتكون في مواجهة القوات البريطانية، إذا ما اتجهت نحو القاهرة، ونقلت القيادة العسكرية من الإسماعيلية إلى الزقازيق.

تصاعدت الضربات المتلاحقة للمقاومة الشعبية المسلحة، يساندها جهاز إعلامي قوي، يعبئ ويخفف آثار الحرب النفسية الضارية، في ذلك الوقت، وجرى توزيع السلاح على الشعب بكميات كبيرة، ما يقرب من مليوني قطعة سلاح. للعمل على تفادي وقوع هزيمة عسكرية. وإن كان العدوان قد اتخذ شكله العسكري السافر، في نهاية تشرين الاول (اكتوبر)، فإنه كان أكثر سفورا على الجبهة السياسية والحرب النفسية، مع تطور الموقف الأمريكي من تمويل مشروع السد العالي، فبعد أن أدان جون فوستر دالاس، وزير الخارجية الأمريكي، حصول مصر على السلاح من تشيكوسلوفاكيا، وضع مبدأه الشهير: «من ليس معنا فهو ضدنا»!!، وترتب على ذلك سحب تمويل المشروع بضغط الإدارة الأمريكية على الجهات الممولة، وواتت الفرصة التاريخية، فاقتنصها عبد الناصر، الذي كان يشغله مستقبل القناة منذ لحظة وصول الجيش إلى الحكم في 1952، وكان الرجل ينتظر جلاء البريطانيين عن منطقة القناة ليضمن سلامة قرار التأميم. واستعاد القناة ليعمول من دخلها مشروعه العملاق، الذي عول عليه كثيرا في التنمية. وبدت ضربة التأميم موجعة لكل من بريطانيا وفرنسا، ووصل الأمر بأنتوني إيدن، رئيس الوزراء البريطاني، إلى طلب اغتيال عبد الناصر، أما جي موليه، رئيس وزراء فرنسا وجد في الغزو فرصة لوقف مساعدات القاهرة لثوار الجزائر.

ويعود فضل حسم المعركة بهذه السرعة، في جزء كبير منه، إلى موقف الأمة العربية، الداعم لمصر، والظرف العالمي المواتي. فالأمة العربية، التي كانت أغلب دولها ترزح تحت الاحتلال المباشر، خرج شعبها متحديا، ولم يتوان بعض حكامها وملوكها عن قطع العلاقات الدبلوماسية مع دول الغزو، وبعضهم الآخر كان مستعدا لخوض القتال، لولا رغبة مصر في عدم توسيع دائرته.. نسف الأشقاء في سورية أنابيب النفط، وخرجت المظاهرات المنددة في أكثر عواصم العرب، واستنكرته أغلب دول العالم، ووجه المارشال بولجانين رئيس الوزراء السوفييتي، في السادس من تشرين الثاني (نوفمبر)، رغم انشغاله بأحداث المجر، إنذارا شديد اللهجة لدول الغزو لإيقاف القتال والانسحاب الفوري. واتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارات بوقف القتال. وكان الرئيس الأمريكي أيزنهاور، قد بادر في اليوم التالي لإنذار بولجانين. بتوجيه رسالة إلى رئيس الوزراء الصهيوني، بن غوريون، يحثه على الامتثال لقرار الجمعية العامة القاضي بانسحاب القوات المعتدية، وتحذيره من مغبة معارضة هذا الانسحاب.

لكن ماذا يقول الجانب الصهيوني عن هذه الحرب؟.. يمكن التعرف على الموقف الصهيوني من خلال دراسة نشرت للمحلل العسكري زئيف شيف، بمناسبة مرور خمسين عاما على قيام الدولة الصهيونية، وكانت عن الدور المركزي للآلة العسكرية الصهيونية في تأسيس الدولة وحماية وجودها، ونشرت في ذي ميدل إيست جورنال صيف 1999، قال في الجزء المتعلق بحرب 1956 أن تلك الحرب، التي عرفت بعملية «قادش» كانت «وقائية»، ولم يكن في مقدور بن غوريون خوضها دون مساندة قوى كبرى، فتحالف مع قوتين استعماريتين آفلتين، هما فرنسا وبريطانيا، وكانت الدولة الصهيونية الضلع الثالث في مثلث الغزو، ويؤكد أنها لم تكن مهتمة، لا بتأميم القناة، ولا بالحرب الدائرة في الجزائر ضد الفرنسيين، كان الاهتمام منصبا على التطورات الجارية في الجيش المصري، وتزويده بأسلحة متقدمة، وعلى هجمات للفدائيين يشرف عليها مصريون. وأقر بأن حرب 1956 سبقتها سنوات صعبة، زادت فيها الهجمات الفدائية على خطوط التماس، وراح ضحيتها العديد من المدنيين. وتأكد للدولة الصهيونية، في 1955، أن المخابرات المصرية تقف وراء الجزء الأكبر من هجمات الفدائيين. فردت بهجمات انتقامية، في كل من قطاع غزة والضفة الغربية، إلا أن الحرب على هذا المستوى اندلعت فور توقيع صفقة الأسلحة التشيكية، وتحول مصر نحو الكتلة الشرقية في شراء السلاح، وانتهت الحرب بهزيمة الغزاة، وإجبار القوات الصهيونية على مغادرة سيناء، بعد أشهر قليلة من بدايتها.

وشتان بين واقع وواقع، فمصر التي قاومت وانتصرت وصمدت، دفعها السادات ومن بعده حسني مبارك للاستسلام، فانهارت وضعفت، وفقدت دورها الإقليمي ونفوذها الدولي. والعرب، أخرجوا أنفسهم من معادلة القوة في المنطقة، وصاروا رديفا للمجهود العسكري والسياسي الصهيو أمريكي، والمجتمع الدولي يعاني من اختطاف الأمم المتحدة ومجلس الأمن لحساب الغزو والتوسع والاستيطان. وعادت العلاقات الدولية سيرتها، في ذروة الحقبة الاستعمارية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. والنتيجة التي نخرج بها هي أن فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة، وحتى هزيمة سنة 1967، شهدت مدا وطنيا وقوميا وعالميا جارفا، وإحساسا عالميا بالمسؤولية نحو مساندة حركات التحرر وحق الشعوب في تقرير مصيرها، ولم يكن العرب استثناء.. كانوا في قلب هذا المد، وكانت مصر في مقدمته، والمجتمع الدولي كان أكثر وفاء لميثاق الأمم المتحدة، والإدارة الأمريكية مارست قدرا كبيرا من المسؤولية تجاه هذا المجتمع الدولي، وكان الاتحاد السوفييتي منسجما مع توجهاته ومبادئه.. كل هذه الظروف المواتية، عربيا وعالميا، ما كانت تؤتي أكلها لولا الأخذ بخيار المقاومة وتضافر العرب وتأييد العالم، وكان صمود بورسعيد ومدن القناة محفزا على التضحية، ولهذا ستبقى المقاومة هي الحل والطريق الأنجع لمواجهة الغزاة والمحتلين والمستوطنين، ونحن بسبب ما نواجه اليوم في حاجة إلى قراءة التاريخ مرة أخرى، لنتعرف من خلاله على موجات الحروب والغزوات ضد المنطقة، وقصة حرب السويس، التي بدأت منذ قرون، لم تنته بعد، وقد نأتي إلى سرد تفاصيلها، إن شاء الله، لحاجتنا الماسة إلى إحياء الذاكرة الوطنية والقومية، لتكون زادا يغذي الملاحم التي تجري في فلسطين والعراق ولبنان. فمثل هذه الذاكرة هي المخزن الذي تحتفظ فيه الشعوب بتجاربها، من أجل أن تتعلم منها وتصقل خبرتها وترتقي بوعيها.

* كاتب من مصر يقيم في لندن

وقائع استشهاد فتيات الرمادي على أيدي قوات الاحتلال الامريكي

هيفاء زنكنة *

■ كان يوم الاربعاء الماضي هو اليوم الذي طلبت فيه حكومة الاحتلال تمديد بقاء قوات الاحتلال على ارضنا وفي مدننا وبين أهلنا. وكانت فاتحة بقائهم مجزرة مروعة. كان يوما أشد دموية من أيامنا السابقة. يومها، استشهدت خمس فتيات، من مدينة الرمادي، على أيدي قوات الاحتلال الامريكي، في جريمة وصفها جيش الاحتلال بانها معركة ضد قوات ارهابية. فمن هن (الارهابيات) اللواتي قاتلن جيش الاحتلال في المعركة الحامية؟

لقد تراوحت اعمار (الارهابيات) اللواتي أرعبن رجال الاحتلال فانطلقوا يرمومن بالقنابل والرشاشات وقذائف الدبابات ما بين الستة أشهر والعشر سنوات. وكالعادة، وكما فعلوا في مجازرهم السابقة في حديثة والاسحاقي والمحمودية ومدينة الصدر، اتبعوا مسار الاحداث نفسها الذي يمكن تلخيصه بالخطوات التالية: القتل بابشع الطرق ثم محاولة اخفاء الجريمة اما عن طريق حرق الجثث او تفجير المبنى او وضع اسلحة او متفجرات بجانب الجثث. ثم اصدار تصريح صحافي يتهمون فيه (الارهابيين، القاعدة، الصدامين، التكفيريين) لتتم حمايتهم قانونيا وليعلنوا براءتهم من المجازر وليغسلوا ايديهم من دماء الشهداء. هكذا وعلى نفس المنوال سارعت قوات الاحتلال، يوم الاربعاء، الى اصدار تصريح عسكري يلقي اللوم على (المتمردين والارهابيين الذين ادخلوا الخراب في كل بيت عراقي)، وان الدورية الامريكية عثرت بعد (المعركة) على ستّ جثث داخل المنزل وعثّر على امرأة أخرى مصابة في الموقع ورفضَ العلاجَ. ولم تكن هناك اصاباتٌ في الجانب الامريكي.

وفي كل مرة ترتكب فيها قوات الاحتلال جريمة أو مجزرة تحاول ادارة الاحتلال تغطية جريمتها بتأجيج روح الطائفية البغيضة لتبعد الانظار عن الخطر الحقيقي المستهدف لوحدة العراق وسلامة أهله ولتشوه صور المقاومة التي تزايدت عملياتها المستهدفة لقوات الاحتلال تحديدا حتى وصلت حاليا الى عملية واحدة كل عشر دقائق، حسب تصريح الصحافي المعروف بوب وودورد.

وكما تتبع قوات الاحتلال مسارا محددا لمجابهة أي فعل مقاومة لوجودها او حال ارتكابها مجزرة تستهدف الاهالي، يتبع ساسة الاحتلال من العراقيين مسارا محددا ازاء المجازر المرتكبة تحت انظارهم. بامكاننا اختزال هذا المسار بكلمتين هما اما التعامي المصحوب بالصمت او النطق تبريرا للمجازر باعتبار ان ما يحدث الان لا يقارن بما كان يجري في ظل النظام السابق. وكان رد فعل الساسة، نساء ورجالا، ازاء قتل اطفال الرمادي هو التعامي والصمت المطبق. وان هلل معظمهم مرحبا بقرار مجلس الامن تمديد بقاء قوات الاحتلال في العراق مدة عام آخر وبناء على طلب المالكي والطالباني. وهي، كما نعلم جميعا، القوات ذاتها المسؤولة عن قتل العراقيين ونحرهم وتفجير المفخخات قرب مساجدهم وفي اسواقهم وقصفهم واعتقالهم، ان لم يكن بشكل مباشر فبعلمهم وتشجيعهم لاشعال نار الطائفية البغيضة. وهي القوات ذاتها التي قتلت يوم الاربعاء بناتنا. فترسبت دماؤهن، دماء الطفولة البريئة، على ايدي قوات الاحتلال والمطالبين ببقائهم، ليؤرقهم منظرها وملمسها ورائحتها الى ابد الابدين ولن تكفي مياه كل الانهار لغسلها.

وكان يوم الاربعاء بائسا لحكومة الاحتلال، لا بسبب الجريمة النكراء بل لان الرئيس الامريكي بوش لم يستقبل المالكي وأجل اللقاء الى صباح الخميس الذي صار له وقعا مختلفا عن دموية اليوم العراقي.

كان يوم الخميس تاريخا، حاسما، وسيحقق المعجزات. هكذا اخبرنا المالكي، رئيس وزراء حكومة الاحتلال، بصوت متهدج وعيون دامعة بعد لقائه بسيده بوش. حقا، انه يوم المعجزة التاريخية، لاسباب عديدة، كلها لاعلاقة لها بما يعيشه الشعب العراقي. اولا: اتيحت للمالكي في ساعات الصباح المبكرة فرصة تناول الافطار مع سيده وعلى مائدة واحدة، بعد ان حرم من العشاء في الليلة السابقة. وهذا امتياز سيتباهى به امام بقية اعضاء حزبه وحكومته الذين اما بقوا خارج قاعة الافطار او لم تتح لهم فرصة مغادرة الزاوية الخضراء في العراق الملتهب اساسا.

ثانيا: كان السيد بوش لطيفا ومتفهما حيث قضى بعض الوقت ليطمئنه بانه مايزال المستخدم المفضل لديه وان تصريحات مستشار الامن القومي الامريكي ستيفن هادلي المشككة بقدرته على ضبط العنف الطائفي في العراق وتهديده بالضغط والطرد ماهي الا محض اشاعات وان المذكرة السرية المؤلفة من خمس صفحات التي كتبها هادلي الى البيت الابيض، وطبقا لما ذكرته صحيفة نيويورك تايمز الامريكية، التي توصي بان تتخذ واشنطن خطوات جديدة لتغيير الوضع في العراق، ماهي الا اكاذيب اطلقها الصداميون والتكفيريون والاسلاميون والارهابيون للاساءة الى وليد الديمقراطية اليافع، الذي يشرف المالكي على رعايته، قبل ان يكتمل عوده.

ثالثا: أبلغ السيد بوش مستخدمه تحيات سفير الولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة جون بولتون واطلاعه على رسالة المالكي المطالبة بتمديد فترة بقاء قوات الاحتلال. واعرابه عن سعادته لتمديد مجلس الأمن الدولي تفويض عمل قوات الاحتلال في العراق. وكان بولتون قد قال في تصريح صحافي بأن مجلس الأمن الدولي، كما يبدو، معني بالإستقرار في العراق وبتحقيق تقدم مستمر نحو الديمقراطية. كما ابلغ بوش المالكي تهانيه لاختياره حامد البياتي كسفير للعراق لدى الأمم المتحدة وذلك لان البياتي ينطق وببلاغة يعجز عنها الكثيرون، في الادارة الامريكية نفسها، عما تريده ادارة الاحتلال الامريكية تماما. اذ قال البياتي للصحافيين بعد اعلان موافقة مجلس الامن بانه من الصعب تحديد موعد زمني لانسحاب القوات لأنه لا يمكن التوقع متى ستكون القوات العراقية جاهزة لإستلام المسؤولية الأمنية بالكامل، وتأمين الحدود مع دول الجوار. وربت بوش بحنان أبوي على كتف المالكي، فاهتز الرجل تأثرا.

رابعا: لقد اتيحت للمالكي، مرة اخرى، فرصة الوقوف جنبا الى جنب مع سيده في مؤتمر صحافي عالمي تناقلت اجهزة الاعلام، حول العالم، أدق تفاصيله. وكان فصيح اللسان، اصغى بوش لبلاغته وتكراره مفردة المسؤولية لما لايقل عن العشر مرات، وكأنه يصغي لمقطوعة من موسيقى رعاة البقر في تكساس. ولم يستطع وهو يصغي للمالكي قائلا بصوت ملؤه الحماس: (لقد انتصرنا في هذه المرحلة عندما انتصرت الديمقراطية والمبادىء والقيم التي نؤمن بها) الا ان يجاريه في حماسه فأشاد به واصفا اياه بأنه زعيم قوي!

خامسا: لم يعاتبه السيد بوش على انقطاع حبل السرة بينه وبين الكتلة الصدرية. بل مر على المسألة مرورا عابرا مبينا له بان هذا هو حال الديمقراطية. من حق الاخرين الاحتجاج والاعتراض والانسحاب ومن حقك كمسؤول ان تفعل ما تشاء. فلا تقلق.

ولان ساسة الاحتلال العراقيين هم ابناء ادارة الاحتلال الانكلو ـ امريكي المطيعون لم يقلق المالكي. لم يقلق وهو يستمع الى اخبار العثور على 89 جثة مجهولة الهوية، كانت موثوقة الايدي ومعصوبة الاعين ومصابة بطلقات نارية في انحاء الجسم وظهرت عليها اثار تعذيب في مناطق متفرقة من بغداد. لم يقلق لاعلان جيش الاحتلال العثور يوم الاربعاء على مقبرة جماعية قرب مدينة بعقوبة، شمالي بغداد، ضمت 28 جثة.

ولم القلق مادام الرئيس بوش قد أكد ان امريكا ستواصل دعمه وتمديد عقد استخدامه، ولو لستة أشهر أخرى، كما جاءت موافقة مجلس الامن على تجديد ابقاء قوات الاحتلال بمثابة الضمان والحماية الشخصية له ولحزبه ولحكومة الاحتلال مدة عام آخر في ظل السيد المأمون؟

* كاتبة من العراق

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 741 ـ 0208 (6 خطوط) ـ
فاكس: 8902 741 ـ 0208 أو 7637 748 ـ 0208
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/ فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(37 212)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.
هاتف/ فاكس: 5066089 (9626)
مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Al-Quds Al-Arabi
daily Independent News Paper
Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.
Editor In Chief
ABDEL BARRI ATWAN

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England
Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: 0208-741 8902 / 748 7637
email: alquds@alquds.co.uk * Internet: www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).
Tel/Fax: (202) 3901523
Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco
Tel/Fax: (212 37) 770594
Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.
Tel/Fax: (9626) 5066089
Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364